

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الكعبة

### اعتداءات عبر التاريخ

#### حين جاء التحذير في مكة

تخيّل أنك في مكة، في أطهر بقاع الأرض، وبينما المعتمرون يطوفون بالبيت الحرام، تصل إلى هاتفك فجأة رسالة تحذير: خطر جوي محتمل على مكة! ثم بعد وقت قصير تصل رسالة أخرى: زال الخطر. ماذا حدث؟ وهل هذه أول مرة يتعرض فيها البيت الحرام لمثل ذلك؟ الحقيقة أن وراء هذا الخبر قصة أكبر بكثير من حادثة عابرة؛ قصة تمتد من أصحاب الفيل، مروراً بالخوارج والقرامطة واقتلاع الحجر الأسود، ثم حادثة الحرم، وصولاً إلى الصواريخ والمسيرات في عصرنا، بل وتمتد إلى أحداث أخبر النبي ﷺ أنها ستقع في آخر الزمان.

## حرمة البيت الحرام

الكعبة بيت الله الحرام، وقبله المسلمين، ورمز من أعظم رموز الإسلام، ومكة أحب البلاد إلى الله ورسوله ﷺ، فما أعظم حرمة هذا البيت! وما أشد جرم من أراد به سوء! ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الحج: ٢٥ ولذلك فإن مجرد سماع خبر عن تهديد يتجه نحو هذه البقعة المقدسة يثير في قلب المسلم مشاعر مختلفة؛ تعظيمًا لحرمة البيت، وخوفًا على قاصديه.

في يوم الثلاثاء ٤ ربيع الآخر ١٤٤٨هـ، تلقى الموجدون في مكة عبر هواتفهم تحذيرًا من وجود خطر محتمل، ثم أعلن بعد ذلك زوال الخطر، وأعلنت الجهات المختصة اعتراض وتدمير طائرة مسيرة جنوب مكة قبل دخولها المجال الجوي المحظور للعاصمة المقدسة.

أيها المسلمون، إن مثل هذه الحوادث تذكرنا بعظيم

حرمة هذا البيت، وبنعمة الأمن التي امتن الله بها على أهله وقاصديه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا

وَيُخَافُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ العنكبوت: ٦٧

ولم تكن هذه أول حادثة من نوعها؛ ففي ٤ ذي القعدة سنة ١٤٣٨هـ أعلنت قيادة التحالف اعتراض صاروخ باليستي أطلق باتجاه مكة، فاعترضته قوات الدفاع الجوي قبل وصوله، ولم تقع أضرار، والله الحمد.

### بعوث تغزو البيت

وهذه الوقائع تعيد إلى الأذهان حديثاً عجيباً أخبر فيه النبي ﷺ بأن البيت الحرام ستتوجه إليه بعوث وجيوش، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت حتى يُخسف بجيش منهم"<sup>(١)</sup>. والحديث يدل على

---

(١) أخرجه النسائي في السنن، كتاب مناسك الحج، رقم (٢٨٧٨)، والحاكم في المستدرک، وقال: «حديث غريب صحيح»، وصححه

استمرار خروج بعوث تقصد هذا البيت حتى يقع الجيش الذي أخبر النبي ﷺ بأن الله يخسف به.

وقد جاءت تفاصيل هذا الجيش في أحاديث صحيحة أخرى؛ ففي الصحيحين عن أن النبي ﷺ أخبر عن جيش يغزو الكعبة، فقال: "يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأولهم وآخرهم"، فقالت عائشة: يا رسول الله، كيف يُخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ فقال ﷺ: "يُخسف بأولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم"<sup>(١)</sup>. وفي هذا معنى عظيم: قد يشترك الناس في العقوبة الدنيوية العامة، ثم يبعث كل إنسان يوم القيامة بحسب نيته.

### من أصحاب الفيل إلى الخوارج

والاعتداء على مكة ليس أمرًا جديدًا في التاريخ؛ فقد

---

الألباني، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، انظر: السلسلة الصحيحة، رقم (٢٤٣٢).

(١) متفق عليه.

عرف البيت الحرام محاولاتٍ للاعتداء عليه حتى قبل بعثة النبي ﷺ، وأشهرها محاولة أبرهة الأشرم وأصحاب الفيل هدم الكعبة، فحفظ الله بيته وأهلك الجيش، وخلد القصة في كتابه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ﴾ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ الفيل: ١ - ٢.

وبعد الإسلام وقعت في مكة فتن وحوادث في فترات مختلفة، ومن ذلك ما وقع في أواخر الدولة الأموية سنة ١٢٩هـ، حين ثار عبدالله الكندي في اليمن وسيطر على صنعاء، فدخل مكة، ثم امتد نفوذ أصحابه إلى المدينة، قبل أن تقضي القوات الأموية على حركتهم.

### يوم اقتلح الحجر الأسود

ومن أبشع الحوادث التي عرفها تاريخ مكة ما وقع سنة ٣١٧هـ، عندما دخل أبو طاهر سليمان الجنابي القرمطي مكة في موسم الحج، واعتدى القرامطة على الحجاج في المسجد الحرام وفي مكة، وقتلوا خلقاً كثيراً، وذكر المؤرخون أنهم ألقوا بعض القتلى في بئر زمزم،

ونزعوا كسوة الكعبة، ثم ارتكبوا جريمة من أعظم الجرائم في تاريخ الحرم، إذ اقتلعوا الحجر الأسود من موضعه وحملوه إلى بلادهم. وظل الحجر الأسود بعيداً عن الكعبة اثنتين وعشرين سنة، حتى أعيد إلى موضعه سنة ٣٣٩هـ بعد أكثر من عشرين سنة من اقتلعه (١).

وهذه الحادثة تبين أن تعظيم المسلمين للبيت لم يمنع أصحاب الأهواء والغلو عبر التاريخ من انتهاك حرمة.

### حين احتل المسجد الحرام

ثم مضت القرون، حتى شهد المسجد الحرام في العصر الحديث حادثة أخرى شديدة الخطورة، وهي حادثة جهيمان وجماعته في غرة محرم سنة ١٤٠٠هـ، حين سيطروا على المسجد الحرام، وزعموا أن محمد بن عبدالله الذي معهم هو المهدي، وتحول الحرم إلى ساحة مواجهة مسلحة، وسقط قتلى وجرحى، وانتهت الأحداث

---

(١) انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، حوادث سنة ٣١٧هـ؛ وابن كثير، البداية والنهاية، حوادث سنة ٣١٧هـ، وحوادث سنة ٣٣٩هـ.

بمقتل مهديهم المزعوم، والقبض على جهيمان وعدد من أتباعه، ثم أُعدم جهيمان وجماعة منهم بعد محاكمتهم.

### مكة وأحداث آخر الزمان

وإذا انتقلنا من التاريخ إلى المستقبل، فإن السنة النبوية أخبرتنا عن أحداث أخرى ستعلق بمكة في آخر الزمان. فمنها الجيش الذي يقصد الكعبة فيخسف به في البداء، ومنها محاولة المسيح الدجال دخول مكة، ولكنه لا يستطيع دخولها؛ فقد ثبت في الصحيح أن على أنقاب مكة والمدينة ملائكة يحرسونهما، فلا يدخلهما الدجال. ثم تأتي في آخر الزمان حادثة مختلفة تمامًا، حين يهدم الكعبة ذو السويقتين من الحبشة. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يُخَرَّبُ الكعبةَ ذو السويقتين من الحبشة". وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصفه ﷺ له بأنه "أسود أفحج، يقلعها حجرًا حجرًا". وهذا إنما يقع في آخر الزمان حين تتغير أحوال الأرض ويذهب أهل

الإيمان.

### ويبقى البيت الحرام

ومع كل هذه الأخبار والأحداث، يبقى أمر لافت للنظر: كم مر على مكة من المعتدين؟ وكم قامت دول وسقطت دول؟ وكم حاول أناس السيطرة على البيت أو الاعتداء عليه؟ ومع ذلك بقيت الكعبة، وبقي الطواف، وبقي الحج، وبقيت أصوات المسلمين تملأ الوادي:  
**ليك اللهم ليك.**

ولهذا حين يسمع المسلم اليوم خبراً عن صاروخ أو مسيرة أو تهديد يقترب من مكة، فلا ينبغي أن يكون موقفه تهويلاً يبعث الرعب، ولا تهويناً من حرمة الأمر، وإنما يستحضر عظمة هذا البيت، ويتثبت من الأخبار، ولا يكون أداةً لنشر الشائعات وترويجها، ويتمسك بجماعة المسلمين، ويلتف حول ولاية أمره، ولا سيما في أوقات الفتن والأزمات، ويستشعر نعمة الأمن والاجتماع، ويتأمل صدق ما أخبر به رسول الله ﷺ من أن

هذا البيت ستقصده بعوث وجيوش، ثم يدعو الله أن  
يحفظ بيته الحرام وقاصديه، وأن يديم على بلادنا أمنها  
 واجتماع كلمتها.

اللهم احفظ بيتك الحرام، واحفظ مكة وأهلها  
وقاصديها، واحفظ بلاد الحرمين، وأدم عليها وعلى سائر  
بلاد المسلمين الأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ورد  
كيد من أراد المسلمين ومقدساتهم بسوء.

وُلِّبَ فِي ٦ / ٤ / ١٤٤٨ هـ

أ.د. عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد